



## مبراة | "ثغافة" أم "سنافة"؟



فiras الهكار

يمتاز الرقيون وأقصد هنا أهل محافظة الرقة السورية الأصليين بأنهم يلفظون حرف الغين قافاً وحرف القاف غيناً، وخاصة في اللهجة الريفية، وهم بذلك يشابهون شعب السودان الشقيق أو "الشغغ"، ولعل البعض من أهالي تلك المدينة حاولوا جاهدين تجاوز تلك العلة

اللغوية التي تعتبر أيضاً من مأخذ أهل المدينة على أهل الريف في بلدة لا يمكنك فصل ريفيها عن مدنيها لأنها ليست سوى قرية كبيرة تتسع رفعتها كلما نتاسل أهلها الذين ينحدرون من عشائر وقبائل تلتقي كلها عند جد واحد. ولتلك اللهجة أيضاً طرائفها في الدولة ومؤسساتها وخاصة التي تُعنى بالإعلام والثقافة، فعندما أصبحت الرقة قبلة للمتقنين والباحثين والصحفيين خلال السنوات العشر الأولى من الألفية الثالثة، كان قد تولى إدارة الثقافة في المحافظة مدير ينحدر من أقصى ريف الرقة، لا شأن له بالثقافة وأكاد أجزم أنه لم يقرأ كتاباً طيلة حياته باستثناء كتب الجامعة، إلا أنه وللأمانة كان قد جعل في مكتبه الكبير غرفة نوم متوسطة بسرير وحمام وبعض مستلزمات العمل الضرورية، يُقال أن تلك الغرفة كانت من أجل سهره على تطوير الثقافة وإنعاشها، لذلك اعترض على تسميتها "غرفة نوم الثقافة" والأفضل أن تكون "غرفة سهر الثقافة". بعيداً عن كل تلك التسميات وكما لا نسترسل في الحديث ونتوه عن فكرتنا الأساسية وهي أن المدير لم يستطع خلال وجوده لسنوات طويلة في الإدارة أن يتغلب على تلك العلة اللسانية الموروثة، وكان في ذلك حرجاً كبيراً له خاصة عند إلقاء كلمات افتتاح مهرجانات وندوات ومعارض دولية كانت تتقلها عشرات القنوات والإذاعات، وبعد أن فشلت كل الطرق لاستدراك تلك المشكلة ما كان من اللجنة المنظمة لأحد المهرجانات والتي كانت تكتب الكلمات والتصريحات للمدير سوى أن تكتب له خطاباً تقلب فيه حرف الغين قافاً والقاف غيناً، وهذا يضمن أن قراءته للكلمة ستكون صحيحة، وبالفعل نجحت تلك الطريقة، واستمرت الحال على ما هي عليه حتى أصبح المدير ملحقاً ثقافياً في سفارة بلاده في إحدى الدول "الصدیغة" على حد قوله، وهذا ما فرض عليه العمل وحده دون لجان أو هيئات على ابتكار أسلوب جديد يجنبه حرف القاف والغين نهائياً فأصبح يقول عن الحقيقة: "الحنينة"، وعن الورقة "ورنة"، وعن الرقة "الرأة". عاد "الرفيغ" المدير إلى بلده إلا أن مدينته "الرأة" كانت قد استبيحت ومبنى ثقافتها الضخم أصبح أثراً بعد عين، فاستقر في دمشق، مديراً لإحدى الهيئات في وزارة "السنافة"، وقد تعلم شرب المنة وما زال كعادته يسهر على الثقافة، إلا أن الأخيرة لم تعد كما كانت في "الرغة"، "ثغافة"؛ بل أضحت "سنافة"، حالها حال "الرغة" التي أضحت في العاصمة "رأة".

• رئيس التحرير

## الفنانة رولا أبو صالح: الدهشة تصنع أطفالاً



## سورية تفوز بالأوسكار؟!!



▪ رواية نفق الدّل: سرير السلطة وأحضان المعارضة!

▪ هل الترجمة إلى العبرية تطبيع ثقافي؟

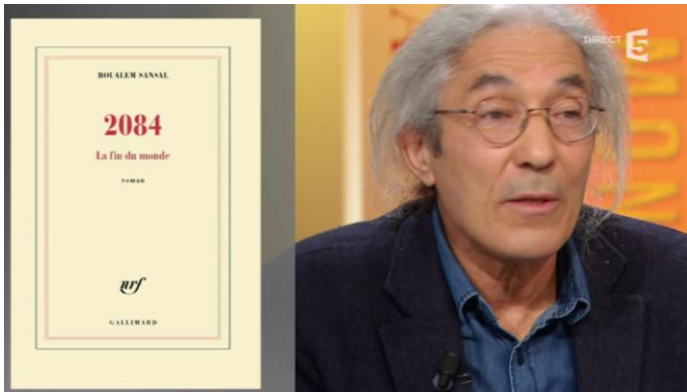
▪ كيف يكون الإبداع الأدبي متميزاً؟

▪ شعراء الكلمات المتقاطعة!

▪ أنا عكاش تكتب يوميات الحرب السورية من دمشق

## هل الترجمة إلى العبرية تطبيع ثقافي؟

✦ حسان أحمد شكاط



حتى لو كان لكتاب يهود عن علم أو غير علم. لكنه أحياناً يستमित في رفض ترجمة النتاج العربي إلى اللغة العبرية.. ويرى في ذلك خيانة أو محاولة للتطبيع مع ذلك الكيان.. رغم ما قد تجلبه الترجمة حتى لو كانت للعبرية من انفتاح على الثقافة والأدب العربي. إلا أنها لن تكون إلا شكلاً من أشكال التطبيع الثقافي مع الكيان الصهيوني مهما حاول البعض إلباسها لبوس الانفتاح على الآخر.

• كاتب وروائي جزائري

في حقه أحلام مستغانمي "بأنه من قام بالتوسط لدى دار النشر الاسرائيلية لأجل ترجمة روايتها". الأمر الذي أنكره واسيني فيما بعد. ومن المعروف عن الفرد الجزائري خصوصاً حساسيته المفرطة لكل ما هو إسرائيلي.. ورفضه لكل نوع من أنواع التطبيع.. حتى ولو تعلق الأمر بسماع أغنية لمغني من أصول يهودية. يقرأ العربي كل ما هو مترجم عن لغات أخرى من نتاج فكري وأدبي

أي تلك التي تشبه ما عرض من خلال الفيلم الشهير "معركة الجزائر". كما لا يفوتنا أن نتطرق أيضاً عن نية دار نشر إسرائيلية ترجمة الرواية الشهيرة ذاكرة الجسد للجزائرية أحلام مستغانمي. وما تبعه من ردود أفعال بين من اعتبره خيانة للعروبة وتطبيعاً ثقافياً مع الكيان الصهيوني، وبين مؤيد لذلك بدعوى أن إسرائيل الدولة لا تمثل الكيان الصهيوني وأن الأمر لا يدعو أن يكون ضرورة ملحّة لانفتاح الشعوب على الثقافة والأدب العربي عن طريق الترجمة إلى مختلف اللغات.

ولا يخفى علينا أن بعضاً من أشهر الروايات العربية قد سبق ترجمتها إلى العبرية كروايات نجيب محفوظ وكذلك رواية سيدة المقام للروائي الجزائري الشهير واسيني الأعرج سنة 2007 هذا الأخير الذي قالت

صدرت مؤخراً ترجمة عبرية لرواية (2084) للجزائري الفرونكوفوني بوعلام صلصال عن دار تاج الإسرائيلية. هذا الأخير المعروف عنه حرصه الشديد على مظاهر التطبيع مع إسرائيل وقد سبق أن زارها خلال سنة 2012، وكُرّم من طرف وزارة الثقافة الإسرائيلية. كما أن هذا الروائي لا يتوانى في إظهار حقه على كل ما هو عربي ومسلم بالخصوص.. ولا تخفى علينا تصريحاته الأخيرة بخصوص عملية الدهس في مدينة نيس الفرنسية التي طالبت حشداً من الناس أدى إلى وقوع العشرات من القتلى والجرحى. حيث قال: "إن هذا العمل الإرهابي شبيه لما قام به المجاهدون الجزائريون خلال سنوات الثورة 1954-1962 من تفجيرات للمقاهي والحانات".

## «تبديل الطرايش» في وزارة الإعلام السورية!

✦ حبيب أديب شحادة



دقيق، بالتالي عدم القدرة على التأثير في الرأي العام. والجدير بالذكر أن قطاع الإعلام السوري ظل بعيداً عن الانتقاد أو المناقشة لسنوات، وتم تناوله بروية خارجية تحاكي الظروف وتبتعد عن الموضوع مما عقد إمكانية إصلاحه فيما بعد، واليوم حتى نصل إلى إعلام سوري فاعل لابد من تنفيذ إصلاح بمسارين:

إصلاح إداري: عبر إعادة النظر في الكادر الكبير ( جيش من الموظفين) والذي يكفي لتشغيل عشر قنوات وإذاعات على الأقل، مما يتطلب دراسة

ومما لاشك فيه أن بصمة سارة استدعت دخول رئيس الحكومة على الخط في اجتماع لمدة أربع ساعات ليستعرض من خلاله واقع الإعلام السوري بكافة مشاكله، وإن كان من المبكر الحكم على وعوده بالإصلاح، فإن الفوص في تفاصيل واقع الإعلام السوري هي مسألة معقدة وشائكة بنفس الوقت لجهة تعدد الجهات الوصائية والمرجعية صاحبة القول الفصل في إصلاح الإعلام من عدمه، الأمر الذي انعكس سلباً على السرعة في نقل الحدث، وفي عدم القدرة على تحديد المهام والمسؤوليات بشكل

جملة من التغييرات حدثت مؤخراً في المؤسسات الإعلامية السورية بعد تشكيل الحكومة الأخيرة، شملت معظم المفاصل الإدارية والإعلامية، من تغيير مدير الأخبار في التلفزيون السوري إلى تغيير مدير الأخبارية السورية ليصبح مديراً عاماً للهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون، والذي بدوره قام بعدة تغييرات منها تغيير إدارة التلفزيون ومعظم مدراء الأقبية والإذاعات، إلى تعميمه الأخير لقرار البصمة، أي دوام العاملين لمدة سبع ساعات يومياً وما أثاره من ردود فعل متباينة ومعتزضة عليه.

وانطلاقاً من إيماننا بضرورة التغيير، ومن أنه "الثابت الوحيد في الحياة" فإن هذه التغييرات لم تكن بناءً على برامج عمل أو خطة عمل قدمها المدراء الجدد، ودليل ذلك أنه حتى كتابة هذه السطور لم نر على شاشاتنا أي برومو جديد لأي برنامج لا سياسي ولا اقتصادي ولا اجتماعي ولا حتى في مجال الطبخ.

تغير المدراء ولم يتغير شيئ، آلية العمل نفسها، نفس المنهج، أي أن ما تغير هو الطربوش فقط المؤدي إلى نفس النتائج.

حقيقية للموارد البشرية وتحديد الاحتياجات منها، وتحليل وتوصيف للوظائف حسب الشهادة والخبرة والمهنية، وتحديد دقيق للمسؤوليات والمهام والصلاحيات، أي تقسيم العمل إلى إداري وإعلامي.

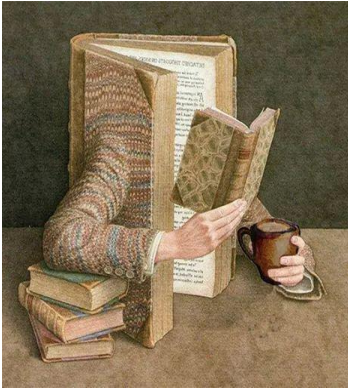
إصلاح إعلامي: بفصل الكوادر الإعلامية في القنوات السورية لخلق التنافس بينها، ولكي لا نكون أمام صورة واحدة في كل القنوات، ووضع خطة برمجية قصيرة مدتها ثلاثة أشهر وتقييمها باستمرار، فهذه الشاشة شاشة وطن وليس شاشة شخص أو أشخاص، وهذا الشيء الذي لم يستوعبه كثيرون ممن كانوا أو صاروا في أماكن صنع القرار، وهذا ما يجعل المواطن لا يتقن بإعلامه أو بما يقدمه ذلك الإعلام على اختلاف أنواعه وأشكاله.

من هنا نصل إلى تغيير السياسة التحريرية للإعلام السوري التي تؤدي بدورها إلى تغيير الخطاب الإعلامي الحالي المنفصل عن الواقع والبعيد عن المهنية، ومنطقياً ليس من المعقول بعد كل ما حدث أن يبقى إعلامنا محكوم بالفعل ورد الفعل، وبدون استراتيجية إعلامية تحكّمه وتنظم عمله.



## كيف يكون الإبداع الأدبي متميزاً؟

❖ ولد عبد الله عبد اللطيف



ونلمس نوعاً من المحاكاة أيضاً لدى لافونتين لتقليد هذا العمل وإخراج نسخة فرنسية تعد من أفضل ما انتجه الأدب الفرنسي على مر العصور إلى يومنا الحاضر.

وقد شكل كتاب كليله ودمنة عند ظهوره فقرة أدبية عملاقة في مجال الرمزية الأدبية وتمكن من استنطاق الحيوانات عن طريق إبراز مخيلة لا نظير لها وخوض تجربة لا نظير لها قبل ذلك الزمن. هناك تجربة أدبية ظهرت في القرن الرابع للميلاد وكان لها ذبوع صوت وذوق خاص لما احتوته من أساليب أدبية مبتكرة، مزجت بين النثر والشعر كما لم يحدث في أي عمل من قبل. إنها مقامات العبقري والأديب الفذ بديع الزمان الهمداني. فقد مكنته سرعة خاطره وقوة بديهته ونفاذ بصيرته إلى ابتكار لون أدبي جذاب، اتبع فيه أسلوباً سلساً لمجموعة من القصص المتفاوتة في الحجم تناولت موضوع الكدية (الاستطاع) والاحتتيال. بطلها رجل وهمي يدعى أبو الفتح الإسكندري ويروي مغامرات هذه الشخصية رجل وهمي آخر أيضاً يدعى عيسى ابن هشام. والقارئ لهذه المقامات يدرك فوراً مدى متانة البنية اللغوية وشدة تناسقها وخاصة بتواجد الشعر. فلا يشعر القارئ بأنه ينتقل من الشعر إلى نثر أو من النثر إلى الشعر. إذ إنه يذيب الشعر والشعر يذبه ويدعو القول والسحر يجيبه وهذا ابغ ما يمكن أن يقال عن مبتكر هذه المقامات. ولكننا للأسف لم نرى أي عمل جدي يطرح هذا النوع الأدبي بعين الاعتبار، بالرغم من قوة لغته وأسلوبه. إلا يمكننا أن نطور أساليبنا الأدبية أو على الأقل نكسوها بطابع عربي أصيل. لطالما أن المادة متوفرة فلماذا لا نرى عملاً يرتكز في فكرته على موضوع الكدية والاحتتيال كما فعل الحريري بعد بديع الزمان بقرن.

ولدينا أمثلة ساطعة عن أدباء كبار استمدوا من تراثهم وقوداً لا ينضب معينه. نرى ذلك جلياً في رواية دان براون "الجحيم" وهي رواية تركز في أساسها على عمل أدبي من القرن الرابع عشر لدانتي أليغري ولها نفس العنوان أيضاً "الجحيم" وهناك من النقد من يقول إن هذا الأخير استلهم عمله من "رسالة الغفران" لأبي العلاء المعري. وهناك من الأمثلة العديدة ما لا يمكنه

لفتة بسيطة إلى تراثنا العربي ستكون لحظة تحول مهمة في الأدب العربي الحديث. أعمال اكتشافها المستشرقون في القرن الماضي وترجمت إلى لغتهم أولاً ثم إلى العربية. وإني أتكلم عن كتاب ألف ليلة وليلة الذائع الصيت ثم كتاب كليله ودمنة. تليه مقامات كل من بديع الزمان الهمداني والحريري. ثم أخيراً الموشحات الأندلسية. لماذا أشرت إلى هذه الاعمال بالضبط؟ لماذا لم أشر إلى البخلاء والبيان والتبيان للجاحظ أو الادب الصغير والكبير لابن المقفع لماذا لم أشر إلى الشعر العباسي والبيغدادي، لماذا تجاهلت قرونًا من الإبداع؟ كل ذلك له سببان الأول هو أنه لا يسعني المقام لذكر كل الأعمال في تراثنا الزاخر بالفنون وثانياً إن هذه الأعمال التي ذكرتها والتي أريد تسليط الضوء عليها تمثل فقرة نوعية وابتكاراً في حد ذاتها. الأسلوب الذي كتبت به ألف ليلة وليلة جعل منها تحفة الزمان ولازالت مرجعاً للعديد من الأدباء الكبار. وخير مثال على ذلك توظيف تقنيّة العلبة الصينية كما ذكرها ماريو باغاس يوسا في كتابه "رسائل إلى رواني شاب" في رواية بؤس لستيفن كينغ والتي نالت شهرة واسعة وحولت إلى عمل سينمائي ناجح. واستعمل فيها الكاتب هذه التقنيّة ووظفها بمهارة عالية، إذ يعتمد هذا الأسلوب على توليد قصص ثانوية من القصة الرئيسية كما هو الحال مع شهرزاد وذلك لإضفاء السحر والغوض والتعقيد. إذ تكون نجاة البطل في رواية بؤس منوطة بالقصة التي يقوم بكتابتها لتلك المرأة التي تريد قتله. وهنا نرى أن ستيفن كينغ استفاد من هذه التقنيّة بشكل كبير وأحدث ذلك فقرة نوعية من خلال فقرات الراوي في الزمان والمكان وجعل مصير بطله كمصير شهرزاد في ألف ليلة وليلة فيعود كلاهما إلى إطالة القصة لتفادي الموت.

التمتع في القصص الخرافية التي قام جان دي لافونتين بكتابتها على أسن الحيوانات يرى أن هنالك شبهها كبيراً بينها وبين القصص التي وردت في كتاب كليله ودمنة ورغم أن هذا الكتاب مترجم من اللغة الهندية ثم إلى الفارسية وأخيراً إلى العربية إلا أنه يعد من التراث العربي الأصيل وقد أحدث أثراً بالغاً في تنشئة الفرد العربي منذ ظهوره.

يقال إن العلميين البارعين، كان لهم في معظم الأحيان معلمون جيّدون، والذين لم يكن لهم مثل هؤلاء قراءوا كتباً جيدة. ونفس الشيء ينطبق على معظم الكتاب الكبار.

من هذا المنطلق أريد أن أتطرق إلى موضوع الكتابة الذي يشغل العديد من الكتاب الناشئين أو الذين يريدون صقل مواهبهم وشحن إمكانياتهم الأدبية. فأي عمل أدبي جاد أو ممارسة كتابية راقية لا بد لها من ضوابط واليات تتحكم في مسار العمل الإبداعي لتبلغ بالنص الأدبي مبعثه النهائي وهو الوصول إلى القراء وتشكيل صورة مرضية عما يريد قوله. فالكتابة جسر من الكلمات تعبر خلاله خواطر الكاتب إلى ذهن القارئ، وللتأكد من متانة الجسر لا بد وأن تكون هناك خلفية لغوية وذائقة أدبية لهذا الكاتب.

سيكون سؤال كل واحد منا عند بداية مشواره، كيف أصبح كاتباً، ما هي الآليات وما هي التكنيكات المتبعة؟ أنا سأقول لك كيف ... ستكون كاتباً عندما تبدأ بالكتابة. هه. وماذا تتوقعون أن أسميه غير هذا؟ ولكن السؤال الذي يجب أن يطرح هو كيف أصبح كاتباً جيداً. هذا هو الأمر الذي يهمننا الآن. هناك عملية الكتابة تأتي أولاً ثم تأتيها النوعية ثانياً وهذا الأخير لا يتحقق إلا بشروط. ومن بين هذه الشروط أن تتوفر لك الإرادة لعمل جاد سياخذ من وقتك الكثير، يعني أن تكون ملتزماً. توسيع دائرة معرفتك عن طريق المطالعة المتنوعة والمستمرة لكل المجالات. فلكتاب قصة قصيرة أو رواية عليك أن تقرأ هذين النوعين بكثرة وكل ما يتعلق بهما من نقد ومقالات. حتى تتمكن من الأساليب والتكنيكات المتبعة في السرد والكتابة عموماً. ولكن ما يهمني الآن هو أن هذه التقنيات المستعملة في تأليف القصص والروايات من طرف معظم كتابنا العرب مستوردة من الغرب. وما أُنشده هنا في هذا المقال هو إيجاد سبل تجعل من كتابنا يتفردون بأساليبهم الخاصة وابتكرون أجناساً أدبية جديدة بالذکر على مر العصور. ستقولون كيف ومن تظن نفسك لكي تملي علينا أفكارك حول العالمية والطموح والرقى... إلخ وسأقول لكم أننا ألقنا وتألفنا في عالمنا العربي مع الأفكار السلبية والانهزامية التي أصبحت كالحلالي اللمفاوية في أجسامنا ضد كل ما هو إبداع. والفكرة تبدأ ببساطة هكذا وعفوية، فقط تحتاج إرادة وهدف واضح ثم عمل مستمر.

حصره. فلننتقل الآن إلى الموشحات التي ظهرت في الأندلس وهي من روائع التراث الإسلامي وتعد تحفاً فنية نادرة لظهورها متأخرة نوعاً ما قبل الشعر العادي ولتجاهل النقد لها في ذلك الوقت باعتبارها لغة عامية آنذاك. والجدير بالذكر أنها آية في قمة الإبداع. فقد قام بعض الأندلسيون كلسان الدين ابن الخطيب وأمثاله باستحداث شعر يتشج بطابع غنائي ترق له الأذان وتخشع له الأبصار. في أسلوب ماهر وعذب. وقد عاد هذا الفن للظهور في القرن الماضي من خلال ما قدمه بعض المطربين كفيروز مثلاً وهناك أيضاً عادة شبيبة .... إلخ ولكن ذلك لم يتعدى فقط تكرار ما قيل منذ عصر الأندلس مع إدخال بعض الآلات الموسيقية الجديدة. ولا نرى له الآن تقريباً أي أثر أو عناية به من طرف النقد والإبداع عامة. فأي يد وأي قلم قد ينتشل هذا الفن من وهدهته فسيؤدي بصاحبه إلى اكتشاف أبعاد وجماليات فنية قد تؤدي به إلى ابتكار فريد أو تطوير لأسلوب شعري منفرد، يؤدي به إلى دخول عالم كبار الأدباء.

إن الإبداع من سمة البشر جميعاً وليس حكراً على أية فئة وهذا التطور الذي نشهده في الغرب إنما هو تراكم كم معرفي مر بأطوار خلال آلاف من السنين ومن الغباء أن ننسبها إلى فئة معينة أو حضارة ما. الطابع البشري يتميز بالإبداع ولطالما تفرد بشعور مرهف وحب للجمال. الجمال الذي يجعل من أي عمل قابلاً للعبور عبر أجيال وأجيال. ولكن البشر أحياناً يمررون بفترات مظلمة ويتميز بعضها عن الآخر بما يوليه من عناية للعقل والجمال، فنرى الغرب الآن سباقين إلى كل موروث حضاري ولا تراهم يتكونون كبيرة ولا صغيرة إلا واستفادوا منها. أما نحن فنبقى منكمشين على أنفسنا خانقين من التقدم خطوة إلى الامام، وغافلين عن عما سبقنا من كم معرفي نستفيد منه لننتقل من جديد في تيار التقدم والإبداع الأدبي. الذي هو ملاذ الروح والعقل ليسبح في فضاءات الخيال أينما وجد وأينما كان.

• كاتب جزائري

## شام، أطلقي سراح الليل

❖ سنية صالح

خرجت تقود قطيعاً من اللعب  
والأطفال العراة  
إلى النوم،  
"ماريا، أرى أطفالاً يتصوّرون،  
ترتي.   
ها هو خبز الله،  
ولا تنسي:  
سيخرج القمر ليباركهم."  
فيا له من قمر يبدد ليل الولادة.

\*\*\*

أيتها اللؤلؤة  
نمت في جوفي عصوراً  
استمعت إلى ضجيج الأحشاء  
وهدير الدماء.  
حجبتك طويلاً.. طويلاً  
ريثماً ينهي المحاربون العظماء حروبهم،  
والجلادون جلد ضحاياهم..  
ريثماً يأتي عصر من نور  
فيخرج واحدنا من جوف الآخر.

\*\*\*

ها هو حصانك الثلجي يطير  
مجنوناً ينار المستقبل.  
تلمع عيناه ببريق الدهشة  
شيء ما يغريه في المضي  
شيء ما يمنعه ويشد لجامه..



وعندما تحاصرك الرياح السوداء،  
يحاصرك الأولياء الشرسون،  
أسرجي خيولك للفرار..  
نامي في العراء  
حيث نار الحقيقة تضطرم  
حيث تقلبات الزمن، بخطواتها  
الخرساء  
تذهب وتجيء  
كنمر يلتقط الأرض بأقدامه المخملية  
\*\*\*  
.. في الجسد تضع الروح نبؤصها  
فيخرج أطفال شقر، زرق العيون  
يلعبون مع البحر  
بينون له قصوراً من الرمال،

ويغرونه بالدخول.  
ولكنه أذكي من أن يُخدع.

\*\*\*

لماذا تركضين وكناك تطيرين  
تتبعك جدائلك وذيل ثوبك؟  
مهلاً  
إنه يقترب...

ذلك الملاك الذي تسعين جاهدة لرؤيته  
ولكن حذار من الفرار معه  
دعيني أرى..

رانع،

رانع،

كدمية من القطن.

ليس كأولئك الذين ينتظروننا في

القبور، يغتالوننا برُمجهم الإلهي،  
ويقرّون..

.. ماريا،

إن قلبك يضرب بقوة.

أخفي صغارك في جوف الوسائد،  
أو في ثقب دافي من بيوت الطين.  
ماريا.

لا تنسي أن توصدي الزرائب  
كي لا تدع صغار الماشية.

\*\*\*

.. ما لك صامت أيها النهر

إرفع عقيرتك.. ليطرب صغاري.

.. ماريا.

منذ متى يحمل وجهك كل تلك الغصون؟

منذ متى يجذ الخريف في أترك؟

وتجد الكلاب التي تعوي

والذئاب التي تنهش؟

.. ماريا الحجولة كان إسمها منذ سنين

مع الأيام صار شيئاً آخر.

ربما شام.

ماريا.

لماذا تخبّنين اسمك الحقيقي؟

إن فيه بحاراً وأقماراً

إن فيه أفلاكاً لا تعرف الهدوء.

ترفرقين بغدانك الذهبية

بين قطيع من اللعب ذات الفراء،

وهي تهز ذبولها الجميلة...

## حفل تأبين للأديب الراحل محمد جاسم الحميدي

❖ قلم رصاص | حماه



التضحية بالأحلام المكتوبة على الورق  
أخف وطأة علينا جميعاً، كان الرهان على  
الذاكرة، تلك الذاكرة التي تحتفظ بالآلاف  
الحكايات وملابيين الصور والمشاهدات،  
حتماً ستكون قادرة على صياغة اللحم  
مجدداً إلا أننا خسرنا الرهان وكان الألم  
شديداً لا يمكن احتماله، هذا الألم هو الذي  
قاد صاحبه إلى عالمه الخاص، العالم  
الذي لا ندرك أبعاده نحن، وكانت  
الفاجمة، فقدنا اللحم وذاكرته وفقدنا  
النسخة الأصلية من ذلك التاريخ كله،  
وفقدنا أبياً لا يمكن للكلمات مهما بلغت  
فصاحتها أن ترتي وتصف فقد محمد  
جاسم الحميدي الأب والأخ والصديق  
والصحفي الأديب.

لن أتحدث عن نزاهة الحميدي لأن من  
عرفوه هم أدري بها، ولن أتحدث عن  
دمائة خلقه وكل من حوله يعرفونها،  
ولن أتحدث عن عشقه لتراب هذه  
الأرض وتاريخها وحضارتها لأن ما  
خلفه من كتب ومقالات خير برهان على  
ذلك، أريد أن أتحدث عن أديب اغتصبوا  
مدينته ولوثوا فراته وأدوا حضارته،  
وأحرقوا أحلامه ورقة ورقة أمام عينيه  
بل وجعوه يحرقها بيديه وليس  
بمقدوره الدفاع عن نفسه أو عن  
أحلامه، ونحن لم يكن أمامنا من خيار،  
أما التضحية بالأحلام أو التضحية  
بالواقع والحقيقة، وكان الحميدي هو  
تلك الحقيقة الراسخة في عقولنا وقلوبنا  
وذاكرتنا وتفاصيل حياتنا لذلك كانت

ومشاعري المضطربة وأنا أقف هذا  
الموقف الذي ما كنت أتمنى أن أقفه  
يوماً، وكان أسهل علي لو كنت المنعي  
ولست الناعي، إلا أن مشينة الخالق  
تبقى فوق مشينة الخلاق..

لست هنا بمقام أن أرثي محمد جاسم  
الحميدي الأديب والقاص إلا أنني أريد أن  
أتحدث عن محمد جاسم الحميدي الأب  
والأخ والصديق، الذي فقدت بفقدته  
سوراً منيعاً كان يرد عني نائبات الدهر،  
ويعيني على غدر الأيام، الأب الذي  
فقدت برحيله حناناً كبيراً وقلباً عطوفاً  
وإنسانية لا متناهية في ابسامه وجه  
بشوش ما فارقت محياه وهو الذي لم  
يعرف هناء العيش يوماً..

عاش أبي حزناً، لكنه كان يخفي حزنه  
عنا جميعاً، وكانت حياته فقداً على فقد  
وحزناً على حزن، إلا أنه كان جباراً بكل  
ما تعنيه الكلمة من معنى، وبقي كذلك  
إلى أن خطف الموت أخيه الأكبر الأديب  
خليل جاسم الحميدي، تراجعت قدرة أبي  
على إخفاء حزنه وألمه برحيل مثله  
وقدوته في الحياة والأدب.

أقام اتحاد الكتاب العرب في  
الجمهورية العربية السورية حفل  
تأبين للأديب والصحفي الراحل  
محمد جاسم الحميدي في مدينة  
حماه السورية، وكان الحميدي قد  
رحل مؤخراً إثر وعكة صحية ألمت  
به ودفن في مدينة حماه.

وتضمن الحفل إلقاء كلمة اتحاد  
الكتاب التي ألقاها الدكتور نضال  
الصالح رئيس اتحاد الكتاب العرب  
في سورية، وكما ألقى كلمات  
أصدقاء الفقيد ومديرية ثقافة الرقة.  
وألقى الدكتور فراس الحميدي نجل  
الفقيد الراحل كلمة أهل الفقيد والتي  
نورد منها:  
أمات أبوك؟  
ضلالاً  
أنا لا يموت أبي  
ففي البيت منه روائح رب وذكري  
نبي  
هذا ما قاله الشاعر العربي نزار  
قباتي، وليس أبلغ من هذا القول في  
وصف مشهدية الفقد التي أعيشها،





## بالعرض البطيء

❖ فؤاد ديب

ركبهم وأيديهم خلف رؤوسهم كأنهم يقلدون فزاعة الحقل بينما ابتسم الرجل الذي يحمل بعض النجوم على كتفه ابتسامة صفراء ساخراً من جلسة الرجال المتبلدة، كانوا واجمين لا يستطيعون فعل شيء، رفع يده في الهواء وأنزلها بقوة، ففتحت الجنود النار على الجالسين فتساقطوا بهدوء... بينما النسوة وقفن على حدود الدم لا يعرفن ماذا يفعلن هل يعدن إلى أطفالهن أم يجففوا دم الرجال على الأرض حين انتبه الجنود لشهقة إحداهن وركضوا خلفهن ليجهزوا على الأرواح المرتجفة... تراكضت النسوة كالفرارح في القفص حين يمد الجزار يده من باب القفص كي يمسك إحداهن ويذبحه.

كووول هدف لإيطالياء.. الهدف الثالث لإيطاليا يحزره باولو روسي بينما سقراط وزيكو وبقية الفريق البرازيلي يستعرضون مهارتهم في لعبة كرة القدم... الحكم يعلن نهاية كأس العالم في كرة القدم إيطاليا تفوز على البرازيل 2-3 .. وترفع كأس العالم...

الأطفال يغفون رويداً رويداً وأصوات غناء أمهاتهم يرتل للحمام الأمان. الحمام يعلم كذبة الأمهات فيطير بأمان ويحط داخل الأسوار فحرارة الطقس لا تطاق خارجها وأحجار المراهقين تلاحق صفو هديله.. فجأة علا صراخ وطار الحمام مذعوراً كان زلزلاً يمر تحت الأرض فاستيقظ الأطفال وسبقهم رعب أعينهم إلى الزقاق، ركض فضول الأمهات أمامهن فلحقن به كي يستطلعن خبر الصراخ ومسجلة كل واحدة منهن على أهبة النسيمة، ركض الأطفال خلفهن بأسمال مرقة تدعي أمام واجهات الزجاج أنها ثياب بينما الرضع لا حول ولا قوة بانتظار عودة الحليب إليهم من أثناء سبقت الأمهات صوب الصراخ ومن يجبو لم يستطع للحاق بالصدى فالتقم الكياء وأسلم للانتظار جلوسه. بينما الأبياء في ساحة المخيم يجلسون وكان طير الصمت أكل السننهم، يجلسون على

فيما بعد كي يروي الحكاية..  
الدماء في كل مكان... الجثث غطت الأرض لم يعد التراب هو أرض المخيم كانت الجثث هي الأرض والأرواح هي المنفى...  
التلفزيون يعيد بالعرض البطيء آخر أهداف إيطاليا والكابتن يرفع كأس العالم... الجنود يرفعون بنادقهم وسلاحهم الأبيض يعلنون النصر على مخيم أعزل لقد انتصروا على أكثر من 3000 رجل وامرأة وطفل وعجوز...

صبرا و شاتيلا 1982/9/16 أكثر من عرض بطيء.

• شاعر وصحفي فلسطيني سوري

العالم يحتفل، الألعاب النارية... الشامبانيا... احتفالات الشوارع، كل هذا الفرحة يعاد يومياً منذ ربحت إيطاليا كأس العالم كم هو العالم جميل عندما يفرح ويرقص.  
أمام البيوت استل الجنود السكاكين وحرب البنادق وطعنوا الأمهات أمام أطفالهن، الرضيع الذي كان يبكي قطعوا ثدي أمه ووضعوه في فمه بينما كان جنود آخرون يجرون امرأة جميلة من شعرها على الأرض عارية والدماء تسيل منها بعد أن اغتصبها أكثر الجنود... كانت مهترنة تماماً لا تستطيع الصراخ حين اقترب جندي وأطلق رصاصة في رأسها وأمر البقية كي يقتلوا الأطفال.. لا نريد أحداً يعيش

## شعراء الكلمات المتقاطعة!

❖ فراس موسى

(القصيدة) وكيميائيتها.  
إن أغلبنا يتذكر ما قام به أحد الشعراء السوريين (حكم البابا) الذي جمع عناوين وكلمات من مجلات وصحف متفرقة، ثم ألصقها جنباً إلى جنب صانعاً منها (قصيدة) تشبه (القصائد) التي يكتبها غالبية الشعراء (المتمردين على الوزن والقافية)، ثم قدم النص الذي تكوّن إلى نقاد وشعراء طالباً آراءهم بقصيدته الجرائدية، فتورط جهم، وأشاد بهذه القصيدة (الخدعة). إن استذكار هذه الحادثة ليس إلا للتأكيد على أن اللا انضباط والفوضى والرخاوة تسود الكتابة الشعرية اليوم. إنني أشق نكهة التمرد على أي نظام شعري، وأقف في الصفوف الأولى للمحتجين الطامحين إلى إذابة الجليد الذي يكبل أجنحة القصيدة العربية، ويمنعها من الزفيف، ولكن هدم عمارة عمرها من عمر الزمن، والسكنى في تجارب لم تتجاوز بعد سنوات طفولتها الأولى شيء لا يفعله إلا أرباب المثقفين، والمختلون عقلياً!

• شاعر فلسطيني سوري

البعض أن الغنائية الشعرية سيارة معطلة تقف في منتصف الطريق، ولست أفهم أيضاً لماذا يتم ربط الحداثة الشعرية بقصيدة النثر، ولماذا يتم التأكيد دوماً على التوامة بين التجديد الشعري والخروج على القافية والأوزان. إن عملية الحرق والتكسير يجب أن تسير بشكل مواز مع عملية الخلق والإنتاج، ولكن الفوضى التي تسود الكتابة الشعرية ذابحة، فالحركة الحداثوية الشعرية اليوم ليس فيها ما يسر الخاطر، وإذا أردت تجربة على ذلك فافتح أي مجلة ثقافية، أو أي ديوان شعر، وطالع هذا الفيضان من القصائد التي لا تملك من مقومات القصيدة وعناصرها سوى الاسم. إن الدوخة ستأكل أعصابك وأنت تحاول فك الشيفرة السحرية التي ختم بها الشاعر على قصيدته، وسوف تتوه وأنت تواجه الغزا وطلاسما شعرية وكلمات متقاطعة لا تشبه سوى حجب ورقى كتبها مشعوذ لا يعرف الكتابة، وحين تبلغ حيرتك أقصى مداها، يهتف بك صوت يفهمك بأنك لن تستطيع مهما كنت بارعاً أن تفهم ما ورائية هذه

إن الرجم اليومي الذي يقوم به بعض دعاة الحداثة الشعرية لكل ما قالتها العرب منذ امرئ القيس حتى يومنا هذا، والطريقة السادية التي يتم بها سحل القصيدة العربية الغنائية في الشوارع بحجة أن الغنائية في الشعر أصبحت (موضة) قديمة، وانتهى زمانها، وأنها لعنة لا بد للشعر العربي أن يفتك نفسه من قبضتها، وبحجة أن خشخشة قوافيها أصبحت غير متوافقة مع الذوق العام السائد يدفعنا إلى قرع نواقيس الخطر، لأن هذه الأفعال لا محرّض لها سوى الحقد والحسد الذي يغلي في بعض النفوس.

إنني لا أقف ضد أي حركة تجديد، أو أي محاولة تستهدف تطوير وتحضير القصيدة العربية، وكسوتها بآثواب الحداثة، ورش وجهها بمياه العصر بعدما طالت غيبوبتها، لكن الثورة الشعرية مثل أي ثورة أخرى لا بد لها من ضوابط وقوانين تخضع لها، ولا بد لها قبل كل شيء من أعددة أساسية ومقومات تتكى عليها لتنهض، ولست أفهم أبداً اعتبار

من هؤلاء؟ من أعطاهم الحق ليجزوا الشعر العربي القديم جزّ النجاح ويدخلوه إلى قاعة محكمة، ويجبروه أن يجلس على كرسي الاتهام كتلميذ مدرسة أمام شلّة قضاة ألبسوا أنفسهم أروية التحكيم، وتوجوا رؤوسهم بتيجان المعرفة، ومن سمح لهم بشنق القصيدة التقليدية من رجليها في عز النهار أمام شهود زور لم يغامروا في حياتهم أبعد من صفحات الكتب المترجمة التي تصفحوها!

إنني طبعاً لا أعبد الشعر القديم والأشكال التقليدية للقصيدة العربية عبادة مطلقة، ولا أقدم لها فروض طاعة يومية، ولا أغسل أصابع رجليها بماء الورد كما اعتادت شعوب العالم العربي أن تفعل مع حكّامها منذ أن خلق الله الكون، ولكن اقتحام منزل أبي الطيب المتنبي واعتقاله، واقتلاع حنجرة ابن الرومي وجريه، وحرق دفاتر شوقي والجواهري بذريعة أن غناء هؤلاء صار مؤذياً للأسماع ليست سوى أفعال شيطنة لا تقوم بها غير عناصر المخابرات والمليشيات.

## الرجل الذي يصرخ

❖ عادل العدوي

وحده صوت المكينات يعلن عن الحياة هنا..

الآن نستطيع أن نسمع صوت العصفير فوق نوافذ العنبر بلا توقف لم يقطع منذ ثلاثة أيام إلا صوت رجل عجوز من وسط الجموع في صرخة تنبئ عن صمت دام طويلاً، حتى إنه شعر براحة عجيبة بعد هذه الصرخة، للدرجة التي قرر معها ألا يتوقف عن الصراخ مطلقاً..

سبعون عاماً يفترشون ساحة المصنع، والماكينات يعلوها تراب كثيف اختلط بزيت متناثرة على أجزاء متفرقة من جسم (المكن)، الرجال السبعون يشبهون بعضهم بعضاً بشكل عجيب.. واحد يرتكن إلى الحائط بجوار ماكينته الميتة وآخر بمضغ لقمة ادخرها من وجبة الأمس.. بينما الكثيرون يمددون أجسادهم على الأرض لا يزعجهم الذباب المحوم فوق وجوههم.

الرجل الذي يصرخ، يلتفت انتباهه الجميع.. كانت صرخاته مدوية، موجعة ومحذرة.. وربما لو انصرفت عنه الآن لا يعود للصراخ مرة ثانية، لذا فإبني مضطر لأن أوجل الكلام عن الرجال السبعين لأتعرّف على حكاية الرجل العجوز الذي يصرخ.. وربما كانت حكاياتهم تشبه هذا الرجل أو هي صور متكررة منه.. على أية حال أنا أتحدث ببطء وحذر شديد، فلا أعرف رد فعله حين أقرب منه.. كلما تضيق المسافة بيني وبينه يعلو صراخه ويزداد رعي.. ها هو يكرر الصرخات بطريقة آلية وفي صوته حشجة تشبه حوار ثور مذبوج تواء.. بينما الرعب بداخلي يكبر كوحش ولا أدري لماذا لا يمكنني التوقف..

الرجال السبعون مستمرون في أوضاعهم السابقة.. كأنه ليس واحداً

منهم.. وكأنه ليس موجوداً على الإطلاق.. كانت ذراعه متشبثة بذراع الماكينة وقدمه على دواسة الفرامل.. في تلك اللحظة دخل اثنان من رجال الأمن، كان الواحد منهما بقوة ثلاثة رجال مجتمعين وملامحهما لا تنبئ عن شيء غير تجهّم وطاعة عيياء ارتسما على وجهيهما.. انتزعاه بقوة وسحباه إلى خارج العنبر تابعتهما حتى الباب وعندما هممت بالخروج وراءهم قابلتني كف صلبة في صدري منعني من الخروج، كانت لضابط الأمن بالمصنع.. حاولت أن أشرح له أنني لست عاملاً من العمال وأن ما أحضرني إلى هنا صرخات الرجل، لكن من الواضح أنه لم يستمع إلى كلماتي.. دفعتني للدخل وأوصد الباب وصار العنبر كزنازة لمحكومين عليهم بالأشغال الشاقة..

حاولت جمع سيرته من زملائه.. وجدت عند كل واحد منهم قصة

مختلفة لكنها جميعاً يمكن أن تندرج تحت عنوان واحد هو "الشقاء".

اختفى الرجل الذي كان يصرخ.. لكن صرخاته التي كانت تخفت مع الوقت لم تتوقف..

ما زالت العصفير تغرد على النوافذ وبدأ الجميع يتساءلون عما يحدث ويوجهون نظراتهم إلي.. وبين الحين والحين ينصت الجميع للتأكد من استمرار الصراخ الذي لم يتوقف أبداً إلا مع صوت رصاصه أزعت العصفير فهربت.. صمت الجميع وذهب كل واحد إلى المكان الذي كان فيه.. ووجدت نفسي واقفاً وسط العنبر وحيداً ورأسى يدور مع اسطوانات المكينات وتروسها.. اصرخ بأعلى صوتي لكن لا أحد يشعر بي.. كان صراخي بلا صوت.. بلا صدى.

● كاتب وناقد مصري

## قالوا ذلك في التحقيق!

❖ منير العباس

كان الصَّيغ يلفّ مائدة الإفطار، الأمّ والابنة مُقابلتان على المائدة، ومقعد الغائب المُنتظر فارغ، لكنّه لم يتخلّ عن وقاره وهيبته، ولم تكن الأمّ والابنة ليتخترقا هذا الوقار، إنّهُ موضِع الرّوج الأب، وقد حرصنا على عدم تناسي ذلك.

طرقات على الباب ألقتها الأمّ ليست أكثر من نوان صامتة، لكنّها بدت طويلة، طويلة، قطعها الأمّ بصرخة مُختنقة بالكاد سمعتها الابنة: إنّها طرقاته، أجل يا ابنتي! إنّها إيقاعاته المعتادة على الباب، اسمعي.. اسمعي هذه الطرقات وهي تلفظ اسمي: "ع.. ر.. ز.. ه..".

إنّها تنطق باسمي، ليست خلماً يا ابنتي، إنّها حقيقة، أجل! أنا يقطّة يا ابنتي، انظري كيف أقارع حبة الرّيتون هذه!

وبينما كانت الابنة تهّم بفنح الباب نادتها الأمّ بشيء من التوسّل:

- مهلاً يا ابنتي دعيه يكمل المعروفة، اسمعي ما أجملها"ع..

ر.. ه.. "ع.. ر.. ه.."  
لأول مرّة تشعّر تلك الطفلة بغيرة لا تُدرك مذلولها، همست لنفسها لماذا

ع.. ر.. ه.. "و" وليس "د.. ا.. ر.. ي.. ن" ألسنت ابنته؟ أم تراه نسيتي؟ أم....؟

حاولت أن تلتمس العذر لأبيها الذي تُحبّه، فافتعت نفسها بأنّه قد لا يجيد سوى تلك المعروفة.

لم تكذّ تفتح الباب، حتى وجدت نفسها تُختطف بذراعي رجل أشيب، يُصارغ الكهولة المتوحّشة.

من هذا الخاطف الحنون؟ إنّهُ الأب الذي لم تره سوى في مُخيلتها، وكما رسّمته أمّها تلك الزوجة العاشقة، شاب حنطي الوجه، أسود العينين، قويّ البنية.

ولكنّ هذا الخاطف الذي يحضنها بحنان يبدو أهرم من الكهولة واضنّف من الشبايب.

انفضت الأمّ صارخة في وجهه، كما لو أنّه غادر منزله للتو:

- أين كنت؟ ومع من؟

- لم تتغيري زغم سنوات الغياب العشر، حسب أنّ الغيرة تهرم مثلنا، لكنها....؟

- لا تتهرّب، هل أنجبت منها أولاداً؟ هل أحببتها؟ هل أحببتك؟

لماذا غدت؟

- وهل يقدّمون في الزنازة زوجات؟

- زنازة؟! إذا كنت سجيناً؟ أين؟ ولماذا؟

- لا أعلم ولكنهم قالوا في التحقيق أنّي عيتت بأوراق السلطان.

- وهل فعلت؟

- نعم، إلا تذكرين تلك الرويا التي قصصتها عليك؟ يومها رأيته في قصر السلطان، دخلت مكتبه فوجدت مذكراته وقرأت فيها قوله:

"ليس صحيحاً أنّ الشعب يختار السلطان، وإنما السلطان يختاره الله، فيسوق قطيع الشعب صاعراً خلفه".

يومها ارتجلت بيتاً من الشعر دوتته على هامش الصّفحة قلت فيه:

ويل لشعب قد تقلّد مرعباً.. فطالما تبع الحمار المرّيع

وأوضحت له معنى بعض المفردات كونه لا يجيد لغة الشعب.

أجل! أوضحت له أنّ المرّيع هو كبش النعم المُعجّ، والذي عادة ما يُترك صوفه طويلاً، وتطوق غنقه الأجراس.

وأوضحت له ويخطّ تحت العبارة أنّ هذا المرّيع يسير أمام القطيع ولكنّ خلف حمار الرّاعي.

- ولكنّها رويّا!

- وهل كانت إلا رويّا قصة تلك المرأة التي زارتني في حلمي الطّفولي، وأرضعتني ثديها، وفطرت دموعها في عيني، وهمست في أذني همسة خجولة: "ويلتي عليك يا بُني حين تكتشف أنّي وطنك العربي، ويا خوفك عليك وخجلي منك وأنت تطلّبي ولا تجذني".

أتذكرين يوم قصصت عليك تلك الرويا؟ أتذكرين كيف أججت نار الغيرة في وجهي؟

- أجل أدكر، وقد قلت لك حينها: أيها الخائن طلّها.

- أجبته: إنّها وطني

- قلت لك: بل امرأة عاقرت ثديها وعينيها.

- أجبته: ولكنّها مجرّد أضغاث أحلام.

- قلت لك: وما الفرق عندما يمارس الأبناء غهر الأخلام مع وطنهم؟!

وهنا انتهى الحوار، إذ أعلمتك أنهم قالوا ذلك في التحقيق، قالوه وهم يمارسون هذا الغهر، وعندما سألتهم لماذا تستبيحون ما تحرّمونه على غيركم، قالوا نحن رجال السلطان، قالوا ذلك وهم يقطعون رمز رجولتي، ليس انتقاماً مني ومنك ولكنّ لحماية الوطن، فالوطن للسلطان، قالوا ذلك في التحقيق.

● قاص وكاتب سوري

## رواية «نفق الذل» من سرير السلطة إلى أحضان المعارضة!

❖ ساندي إبراهيم

اتخذت السورية سميرة المسالمة من الحب والجنس مدخلاً للولوج إلى روايتها الأولى «نفق الذل» الصادرة في بيروت عن منشورات ضفاف.

تبدأ سردها بقصة حب تجمع بين عماد، طالب طب يساري من أصول ريفية، بزميلته منى، وهي ابنة ضابط أمن كبير في الدولة، يدفع عماد ثمن حبه وعشقه سنوات طويلة في المعتقل، إذ تختطفه سيارة سوداء بينما يسير مع حبيبته منى ويختفي بعدها ولا يبقى منه سوى طفل غير شرعي زرعه في رحم حبيبته في إحدى خلواتهم.

بكت منى كثيراً فقد عماد، لم يكن أمامها خيار سوى أن تخبر أمها بالروح التي في احشائها، وتنتهي الأم المسالمة - وفق خبرتها الطويلة - بزيارة سريعة إلى طبيب باريبي لقلب الشرف الذي استباحه عماد مع الاحتفاظ بالجنين.

دموع منى لم تشفع لها عند والدها الذي سارع لتزويجها أو مقايضتها إن صح التعبير مع أمجد ابن صديقه التاجر الكبير وفق صفقة مشبوهة فور عودتها من باريس.

كان سعي المسالمة عبر روايتها الأولى واضحاً منذ بداية الحدث الذي اختارته مدخلاً لروايتها لتوصيف الواقع الذي عايشته هي لعقود طويلة، ولم تعابشه فقط إنما كانت جزءاً لا يتجزأ منه، فالسلطة الأمنية التي تحاول إدانتها عبر السرد وتوصيف حالة الفساد المستشري في المجتمع السوري ودور القبضة الأمنية في تقييد الحريات وكم الأفواه ومنع المواطن من ممارسة أبسط حقوقه، كحقه في الحياة والحب، هي ذاتها التي أوصلتها لمنصبها الذي كانت تشغله.

إلا أنها تجاهلت أن الفتيات السوريات لسن كلهن منى، والشباب السوريون ليسوا كلهم عماد. وفي ذلك تشويه للواقع السوري كلية عبر رسم علاقات غير منطقية بين الشخصيات منذ بداية السرد إلى نهايته، وهذا ما أفضل الموضوعية السردية في الرواية وجاءت منحازة بشكل واضح عبر تصوير حقائق غير واقعية في بعض المواقع، وهذه إحدى الهنات في عمل أخذت كاتبته على عاتقها توثيق الواقع الذي عايشته، من خلاله، وكانت جزءاً منه لفترة طويلة.

عماد الذي كان طالباً معارضاً في بداية

السرد يتم اعتقاله ويتعرض للتعذيب والتعنيف والاعتصاب، ثم يصبح في أجزاء لاحقة ضابطاً برتبة عالية، إلى أن يتسلم مكان والد منى الضابط الذي اعتقله من قبل وأصبح اليوم خارج الخدمة.

غيث، الطفل الذي وضعته منى أصبح شاباً وخرج يشارك في المظاهرات الاحتجاجية التي بدأت في سورية، ويعتقله عناصر الأمن ويصبح سجيناً عند والده الحقيقي ويتعرض أيضاً للتعذيب والاعتصاب ثم يُقتل في المعتقل في اللحظة التي تكون والدته منى قد وصلت إلى أبيه الذي تكتشف أنه عماد حبيبها الذي اختفى قبل سنوات ولم تعلم عنه شيئاً، وتحت هول الصدمة تخبره أن الشاب الذي اعتقله هو ثمرة حبهم، هو الطفل غير الشرعي لهما، ليكتشف عماد أن الشاب الذي مارس عليه شتى أنواع التعذيب إلى أن قتله كان ابنه. وهنا تُعيد المسالمة بطل روايتها إلى الموقف الإنساني الأول حين كان عاشقاً حالماً ثم أخذته نحو السلطة الباطشة القاهرة حين حولته من

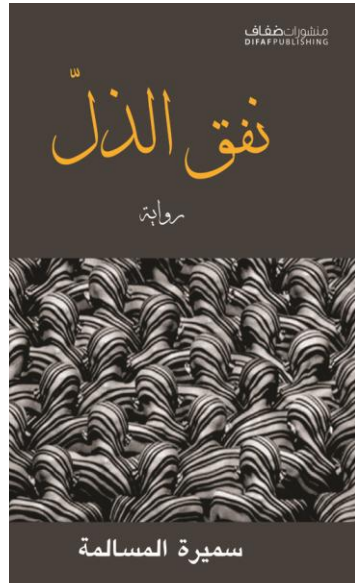
معتقل معارض إلى مسؤول أمن كبير.

عبرت سميرة بالطفل غير الشرعي عن عدم شرعية ما يحدث في سورية، ربما تعبيرها جاء سهواً بحيث إنها أصبحت ترى أن كل ما حل في سورية من خراب ودمار هو شرعي من أجل الإطاحة بالسلطة وهو النفق الذي مرت عبره سميرة ذات يوم في رحلتها إلى رئاسة تحرير صحيفة تشرين.

أما منى الرقيقة المحبة الحاملة فهي ليست سوى سورية الوطن التي تقضي عليها سلطة الأب الأمنية من أجل مصالح شخصية وضيقة.

لم تهمل الصحفية سميرة المسالمة نفسها وسيرتها الشخصية فتسردها عبر شخصية الصحفية سلام التي تعمل في إحدى الصحف الحكومية وتترج بالمواقع حتى تصبح على رأس هرم تلك الصحيفة وفق معادلة التنازلات التي كانت تقدمها أصبح وصولها أكثر يسراً وسهولة، وهي بذلك لم تنس أنها كانت لفترة قريبة جزءاً لا يتجزأ من هذه السلطة، ولم

**"حين لا يكون السرد الأدبي غاية بحد ذاته تزيينه جمالية اللغة لا بد أن يتحول العمل الإبداعي إلى مجرد ثرثرة كلامية تفتقر إلى قيم الجمال الأدبي وحيوية اللغة التي كُتبت بها ذلك العمل، وكل ما يمكن قوله عن رواية نفق الذل أنها ثرثرة انتقامية لم تفلح الكاتبة في إلباسها لباس الأدب إلا حين استعارت كلمة رواية ووضعته على الغلاف".**



تكن لتصل إلى منصبها سوى بمرورها في هذا النفق نفق السلطة الذي اسمته هي "نفق الذل"، رغم أنها كانت تنعم بخيراته ونعمه، ومكتسباتها من تلك السلطة لا تعد ولا تحصى مع جرعة زائدة من الفساد الذي تحدثت عنه، ثم طلقها زوجها بعد أن غضبت عليها السلطة الأمنية وتم إقبالها لإحيازها للمظاهرين والمحتجين على تلك السلطة، والتحاقها بصفوف المعارضين خارج البلاد. وهنا يتجلى أيضاً تعدد تغيب صوت النموذج الوطني ومحاوله السورية وتداعياتها الأساسية من خلال تجاوز السرد هذه الأنماط الموجودة على أرض الواقع، والتركيز على إظهار كل ما هو قبيح لهدف سياسي ونفسي يسيطر على الصوت السردية.

كما جاء البناء السردية في أغلب فصول الرواية بلغة قاربت التعبير الإنشائي أكثر منها إلى اللغة الأدبية الروائية الرصينة المحكمة، وهذا ما جعل النص هشاً في كثير من المواقع، ورغم أن الفساد الذي تحدثت عنه في عوالم الصحافة والفن والاقتصاد هو واقعي أكثر من قصة الحب تلك فإنها لم تفلح في إنجاز سردية حقيقية تخيل الواقع، وبما أن المسالمة اتخذت من الواقع منطلقاً لروايتها فإن مخيلتها السردية كانت ضيقة جداً ومتأثرة بشكل واضح بالهدف الرئيس للكاتبة فكان الضعف هو الثيمة الأساسية للسرد.

• شاعرة سورية



## سورية تفوز بالأوسكار!؟



## ❖ علي وجيه

مع دخول موسم جوائز السينما الكبرى آخر العام، اختار بعض العرب عناوينهم المرشحة للمنافسة ضمن التصفيات المؤهلة لأوسكار «أفضل فيلم أجنبي» (26 شباط/فبراير 2017). مصر رشحت «اشتباك» لمحمد دياب، الذي افتتح قسم «نظرة ما» في مهرجان كان الأخير، وحقق حضوراً دولياً لافتاً. لبنان أرسل «فيلم كثير كبير» لمهرجان بو شعيا، الذي منحه كويولا النجمة الذهب في مهرجان مراكش، قبل جولات موفقة في مهرجانات العالم. «3000 ليلة» للفلسطينية مي المصري يرفع علم الأردن. «على حلة عيني» لليلى بوزيد يحمل اسم تونس. إنه أفضل فيلم رواني طويل في مهرجان دبي السينمائي الفانت، وصاحب جازتي الجمهور والسينما الأوروبية (فيليكس) ضمن «أيام فينيسيا» في مهرجان البندقية السينمائي 2015.

السعودية انتخبت أبرز إنتاجاتها منذ انطلاق السينما في المملكة: «بركة يقابل بركة» لمحمود صباغ، الذي انتزع جائزة لجنة التحكيم الدولية في «المنتدى» ضمن مهرجان برلين السينمائي 2016، وجال مهرجانات كبيرة مثل تورونتو ولندن.

مقال الناقد اللبناني محمد رضا «العرب في ميزان الأوسكار»، المنشور في صحيفة «الشرق الأوسط».

## بعد الترشيح

الترشيح الأولي يتم من خلال لجنة مختارة من وزارة الثقافة (لبنان)، أو نقابة السينمائيين (مصر)، أو مركز وطني للسينما (تونس)، أو حتى جمعية غير حكومية. المهم أن تحظى الجهة أو الهيكل بحق تمثيل الدولة، وبقرار «أكاديمية فنون وعلوم الصور المتحركة» المنظمة للحدث. في حالات أخرى، يدخل الفيلم التصفيات أوتوماتيكياً، إذا فاز بجائزة أحد المهرجانات الأميركية المتفقة مع الأكاديمية على ذلك. هكذا، يجتاز الفيلم مراحل، تتوج بقائمة نهائية، يتم الكشف عنها قبل شهر من حفل التوزيع. لا خلاف على المستوى الفني للأشرطة الواسلة. يبقى ما يتعلق ما يتعلق بالموضوع والمعالجة وشؤون الدعاية والإعلان. نعم، النجاة من التصفيات، والأدهى الفوز، يتطلب دعاية ضخمة في الولايات المتحدة. نفقات باهظة لتغطية التوزيع في عدد محدد من الصالات والحملة الإعلامية، ناهيك عن العروض الخاصة وتوزيع النسخ وحفلات الكوكيتيل. النيات الطيبة لا تكفي في عالم شرس كهذا.

## ماذا عن سوريا؟

لا شيء. السوريون لم يعرفوا جوائز الأوسكار سوى على الشاشات. لم تطأ أقدام السينمائيين السوريين مسرح «دولي» في لوس أنجلوس ولول مرة. السبب بسيط: سوريا لم ترسل فيلماً واحداً يمثلها. مع اشتعال الحرب السورية، التفت العالم إلى وثائقيات المعارضة بشكل خاص. تم التشبيك مع جهات دعم ومنصات مثل

«بدايات»، للأخذ بيد الشريط إلى المحافل الكبرى. هكذا، ضرب التسجيليون السوريون في ساندانس ولوكارنو وأمستردام ولندن وغيرها. طلال ديركي حقق الإنجاز الأبرز، بجائزة أفضل وثائقي أجنبي في مهرجان «ساندانس» 2014 عن «العودة إلى حمص» (2013). أفلام «المؤسسة العامة للسينما» عانت حصاراً عربياً خانقاً، قبل أن تبدأ في كسره أخيراً. مهرجانا دبي وقرطاج لم يبرمجا فيلماً للمؤسسة منذ بدء الحرب، على الرغم من جودة بعضها. كذلك، لا يبدو أن المهرجانات الدولية الكبيرة في وارد تغيير توجهاتها لأسباب سياسية لا فنية. لا يُعقل أن يصبح الفن محتكراً من قبل وكلاء حصريين للألم السوري. رغم ذلك، حاول محمد عبد العزيز في تصفيات الغولدن غلوب بـ «الرابعة بتوقيت الفردوس» (2015)، «المؤسسة العامة للسينما». أفلام باسل الخطيب تدور دانماً.

## الحل

قد يكون رومانسياً في نظر البعض. لا بديل عن تأسيس جمعية أو رابطة من السينمائيين والنقاد المعتدلين، بعيداً عن أصحاب الرؤوس الحامية والنضاليات الفارغة على الضفتين. الطبيعة غير الحكومية لأيّ تجمّع، يلغي الكثير من العوائق والحرص بينهما. هذا الهيكل يتولى انتقاء الشريط الأفضل بغض النظر عن تحزبه وجهة إنتاجه. يتواصل مع الأكاديمية لنيل اعتمادها، ومع المؤسسة العامة للسينما ومختلف الجهات للحصول على مباركتها. يرسل دولياً للانخراط في العملية كما في الدول الأخرى. هذا قد يجلب تمويلاً لنفقات السفر والدعاية من هيئات وصناديق دعم، إذا ما شقّ الفيلم طريقه بنجاح. كذلك، يقوم بتوجيه صنّاع الأفلام إلى المهرجانات الأميركية المعتمدة من أعضاء الأكاديمية. الفوز بجائزة إحداهما يوفر الكثير من المصاعب والنفقات. يوماً ما، يمكن أن يذهب أوسكار أفضل فيلم أجنبي لفيلم سوري. لم لا؟

• سيناريست وناقد سوري





## التشكيلية السورية رولا أبو صالح: الدهشة تصنع أطفالاً

❖ حوار: قلم رصاص



الفنانة رولا أبو صالح في محترفها

### التقنية اللونية

بفطرية حتى تعجبني، عندها أشعر أنها انتهت، مستخدمة الألوان الزيتية والأكريليك والمواد المختلفة على قماش، حسب ما تتطلبه الفكرة ونسوجها أمامي...". إنها تغرق في شعرية المحاكاة والتماهي الجوهري مع اللون، تاركة للمتلقى حرية التواصل الروحي مع اللوحة، إذ لا يمكن التوقف عند لوحة بمفردها دون النظر إليها كحلقة من مشروع متكامل يكشف عن نفسه مع كل بناء جمالي تقترحه الفنانة التي تنتصر لفرشاة ألوانها محاولة إعادة إنتاج الحياة بوجوه أطفال يقولون الحياة على طريقتهم الخاصة.

### رؤية فلسفية

تسعى رولا للبحث عن مداخل فلسفية لرؤيتها الفنية حول "مشروعها الجديد" حيث تنطلق من اعتقاد كوني عن أسرار الوجود ودوافع البقاء والخلود، تقول: "الإنسان إذ ينقب في نفسه يستطيع العثور على مركز الكون، فكيف إذا كانت هذه النفس صغيرة وفطرية صادقة وعفوية وحقيقية ولم تتأثر بالعادات والتقاليد...! تلفت انتباهي بعض حالات القلق والتساؤل عند الأطفال ومن خلالها أستطيع أن أجد أجوبة لأسألتي عن الغاية من وجود الإنسان والكون والخلق.. هذا أبسط تعريف قد أقدم فيه فكرة مشروعني حول الأطفال". حالياً تقضي الفنانة رولا معظم وقتها

تقنياً، تنمي تجربة رولا أبو صالح إلى المدرسة الواقعية، لكن هنا "لاتبقى واقعية" حسب تعبيرها لأنها تعمل على تداعيات مشهدية بعد اللحظات الأولى لولادة اللوحة: "أبدأ العمل بفكرة ما أو متأثرة بمشهد رأيته أو مطبوع بذاكرتي من السابق، وحين يصل العمل لبر الأمان وأقرب من الوصول للحقيقة أجد اللوحة تأخذ مساراً آخر وتخرج من إطار الواقعية وتذهب باتجاه آخر... إنها تكمل طريقها لوحدها، أشعر أنني أفقد السيطرة العقلانية، وهكذا أبدأ بالتلوين

بأحد..!" تشير رولا في حديثها لـ"قلم رصاص"، ولكن، كان لرسومات كتب المدرسة "وقعها المحبب لديها: "خصوصاً رسومات الفنان ممتاز البهرة، كانت متعتي الوحيدة في الطفولة، ثم بعد ذلك جاءت الأساطير البابلية، التي فتحت رسوماتها أبواباً واسعة لمخيلتي. أتذكر أنني كلما كنت أقرأ، أذهب في تخيل الشخصيات، كيف عاشت في تلك الأزمنة، كنت أشعر كما لو أنها حقيقية ونحن الأساطير" تضيف الفنانة.

قريباً من محترفها وسط جرماتنا، تدور معارك في الأرياف المجاورة وتسقط القذائف هنا وهناك، لا خوف يهددها، تنتقل بين مرسماها - بيتها وبين غاليري كامل وسط العاصمة دمشق، بإصرار ومجهود كبير تشتغل الفنانة التشكيلية رولا أبو صالح (1982- خريجة مركز أدهم إسماعيل 2007) على فكرة الذهول وإعادة اكتشاف اللحظة في عالم الأطفال، لوحاتها الجديدة التي توحدتها فكرة البحث عن الأسئلة الكبيرة في لحظات الطفولة تعيدنا للحظات الولادة الأولى لديها، تقول رولا: "كل ما أتذكره منذ الطفولة كان أقلام التلوين والطباشير والمساحات الخالية، تلك التفاصيل التي شكلت كل هواجسي، لم أكن أوفر مساحة خالية دون محاولة رسم شيء ما، ربما عالق في ذاكرتي الماضية... ولطالما تمنيت لو يستبدلوا بعض الحصص الدراسية، بحصص الرسم والأشغال! أو أن يتركوا لي حرية اختيار ما أرغب بتعلمه..".

### نحن الأساطير

تجاوزت الفنانة الشابة محيطها الاجتماعي لتتدخل نحو ذاتها أكثر، باحثة عن لغة اللون في معنى الخيال اللامنتهي، لم تتأثر بأشخاص بشكل مباشر، ولكنها كانت مشغولة في التاريخ وسرديته وألغازه: "لم يكن هنالك فنانين في عائلتي أو أقاربي أو حتى الجيران، دائماً كنت أتمنى أن أقابل فناناً وأنا صغيرة، لأحاول تلمس شيء من الفن عن قرب وأتعلم بعض







في ورشة فنية مشتركة ضمن غاليري كامل، حيث تعتبرها من "أجمل تجارب حياتها" لم وجدته هناك من تقدير ورعاية وتشجيع من قبل القائمين على مشروع الورشة: "لقد أتاحت لي هذه الورشة العمل مع فنانين آخرين والاستفادة من تجارب وخبرات مختلفة، إضافة إلى الحوارات الثقافية اليومية التي تدور بيني وبينهم."

#### الثقافة أولاً

من جهة أخرى تحاول في غاليري كامل "الاشتغال على ما هو ثقافي على حساب المردود المادي" حسب تعبير رولا، فهي تقدم للفنانين المشاركين المكان والأدوات والأجواء المناسبة. وهذا من الدوافع التي حفزت هذه الفنانة على الإنتاج والاستمرارية: "حالياً أعمل على مشروعني هناك، وما زال لدي المزيد لأتعلّمه وأجرّبه، هنا اكتشفت كيف تتطور تجربتي يوماً بعد الآخر، وأشعر بأنني أكتشف فيها الكثير."

"أنا راضية عن نفسي وعن المستوى الذي أقدمه، إنه تعبير ذاتي في أعمالي" تقول رولا أبو صالح، التي تسعى لتوصيل "ما يدور بداخلها عبر اللوحة". هناك الكثير من الأسئلة والألغاز الغامضة التي ما زالت تدور في بالها منذ ولدت، لم تجد لها إجابات مقنعة، "لعل الدهشة على وجوه أطفالها، تعبر عن دهشة ما يدور في العالم و تعبير خاص عن عاجزهم أحياناً لإيجاد تفسير حول الظواهر الغامضة" تضيف.

الإبهار هو سر الأحجام الكبيرة

مسبق وهنا تخدمني المساحات الكبيرة لأفعل كل ما أشاء". متى يمكننا القول أن فكرة مشروع ما انتهت بعد إنجاز معرض حول الفكرة مثلاً، يعني ألا يخشى الفنان من مطاردة أفكار قريبة لمشروعه الراهن بعد تقديمه مقترحه الفني كعرض؟ لاتعتقد رولا هنا أن فكرة أي مشروع قد تتوقف وتنتهي بل ستكون "بداية تمهيدية للفكرة الكبرى وتمتد إلى باقي الأعمال. غالباً ما تطاردني الأفكار التي أنغمس بها بعد القراءة لأرسمها فهي امتداد لما بدأت به وكل ذلك متواصل مع ما قبله وبعده إلى ما لا نهاية".

لوحات الجديدة التي أنجزتها الفنانة الشابة، وتقوم آلية القياس في حساباتها على الفكرة، تقول: "ليس هناك قياس معين أعتمده ولكن غالباً ما تكون أحجام كبيرة فهذه الأحجام تبهرني وأستطيع من خلالها التعبير عن الفكرة بحرية فتنضج على راحتها بدون قيود المساحة الصغيرة. لا أعتد على قواعد في لوحتي فهي تكون فكرة في البداية وتتبلور في مخيلتي وأبدأ بتنفيذها، فهي تبدأ بتخطيط ولكنها سرعان ما تخرج عن الواقع وتنتهي بدون تخطيط

## "الإنسان إذ ينقب في نفسه يستطيع العثور على مركز الكون"



#### طاقة القراءة

في ضفة مقابلة للرسم والخيال تشغل الفنانة في قراءات مختلفة لمجموعة مختارة من الكتب، ليس هناك نوع محدد، فهي تقرأ عدة كتب في وقت واحد إنها "قراءة بحثية" كما تسميها، إذ قد تبدأ بكتاب وتشدها كلمة أو جملة فتذهب نحو البحث عن ما ترمز إليه في المصادر وهكذا، تقول: "تجديني أقرأ أكثر من كتاب في وقت واحد، فالقراءة تشحن طاقتي ومخيلتي وتعطيني الدافع الكبير لأنسج لوحتي كما أتخيلها، تشدني الروايات والأساطير والشعر والمسرح وكتب الفيزياء الحصصية والخيال العلمي بالإضافة إلى الكتب الفنية العالمية بشكل عام والفن السوري بشكل خاص فمن الضروري أن يعرف كل فنان من هم رواد الفن في بلده وماذا قدموا للفن وماذا أضافوا إليه؟".



## محاة | الأدوار المعطوبة



❖ عمر الشيخ

يخجل البعض من مهنته كصحافي في بيئة الافتراض، بين وقوفه على أطلال المعجبين كمبدع وبين حضوره القديم، اسماً في مهنة المتاعب، حيث لا أضواء إلا للمنجز المختلف والمفردات الجديدة.

رغم ذلك تراهم يلتقطون من صفحات المواهب الجديدة، الحالات الشعرية والمشاهد الروائية، فالاتهامات جاهزة للجيل الجديد، ولن يشير أحد إلى عمليات السطو الأدبية التي يمارسها هؤلاء.

ينمو في مخيلة الجمهور اكتشاف نوعي قائم على تقدير الآخر من سنّه المهني لا من حجم تجربته "الإبداعية" فيما لو تجاوزنا أن ما ينشر للأجيال التي قطعت شوطاً طويلاً في الصحافة، هو فعلاً "أدب" ليس تجميع ألقاب وتلميع صورة شاحبة لخيبات أجيال قديمة على أكتاف احترام الآخر لهم، وهذا الحساب لا يقدم صورة جدية لم يسعى إليه أغلب الصحافيين الذين لم يكونوا إلا كتاباً بتقنيات معروفة ومخيلة محدودة، ثم بين ليلة وضحاها باتوا ينظرون بالشعر ويكتبونه ويعتبرون أنفسهم "منعطفاً" في تاريخه.

أيتها الحرب الرخيصة، لماذا تهطلين أناساً يبحثون كل يوم عن أدوار جديدة بعد فشلهم بالأدوار التي لعبوها قبل قيام ساعة الرصاص؟ كانوا يكتبون تقارير الصحافة على مدى عشرات السنوات، وكانت جملهم ذاتها ضمن قوالهم المتشابهة تحتل أعمدة الجرائد ونوافذ المنابر الإعلامية المختلفة مسموعة كانت أم مرئية أو مكتوبة، لم يتطور الخطاب الصحافي بل تم الاستغناء عن "صاحبة الجلالة" لأن من يعمل بها عطبت الحرب مخيلته وبات يبحث عن خطاب "أدبي" أكثر سهولة ولصوصية ونجومية من مهنة الحقيقة التي أنجبتهم وها هم اليوم ينكرونها لأنهم أصبحوا يكتبون الشعر والرواية والقصة بالتوازي مع بوسنات الفسابقة.

• مدير التحرير

## يوميات حرب طائفية أهلية محلية (١٢)



❖ أنا عكاش

فقد غمرت بالماء.. حتى الآن أندم أنني لم أتخصص بالآثار والمتاحف.. لبيتني فعلت حينها، ولربما، سارت حياتي في اتجاه آخر. لا أعرف ماذا يسمون خطوط الطبشور الأبيض هذه في دمشق، أعتقد "حيز"، ربما أكون مخطنة... ولا رغبة لي بالتأكد.. فالمملكة تناسيني.

أقفز فتستغرب الفتيات. افتقدت خفة الطفولة.. ها قد دست على خط.. وآخر لكنني ما أزال أتفن القفز..

قلقاً يمر قربي وهو يتحدث بهاتفه: - من شوي نزلت وحدة، يمكن في تنين انصابوا، المهم طمّني وصلت البضاعة؟ لهلاً الطريق مسكراً؟

يتجاوزني فلا أسمع تنمة الحديث. في "العقيبة" الذي ينحني يميناً باتجاه "الملك فيصل"، أراه، شعره لم يعد كُزّ

خصلة في اتجاه كما رأيته أول مرة، يبدو أكثر ترتيباً، بنطال أزرق وحقيبة حمراء تهتز على ظهر القميص السماوي، أتبع خطواته وعينيّ

مثبتتان إلى كعبيه الأسودين المشققين في الشحاط البلاستيكي.

تلقتني أصابع الأقدام، أشعرها مضحكة، أنيقة أو طيبة.. أحياناً متعبة أو حتى كادحة.. صفات بشرية كاملة أحسها مخفية في الأصابع الصغيرة

المظلة من فتحة الشحاط. في تلك المرة الأولى، ظننته طالب مدرسة وأنا أراه آتياً تجاهي من بعيد، ومع اقترابه كشفته خطوط العمر

المحفورة عميقاً في الجبين والخدّين، بعدها لم أعد أطرح تساؤلات.

أمام الدكان الصغيرة المختصة بتصليح الأعواد في الشارع المفضي إلى النوفرة أراهم مجتمعين، يعزف أغنية

لعبد الوهاب، صديقه يصب الشاي في الكؤوس الثلاث، والآخر يردد مغمضاً عينيه باستمتاع:

- الله.. الله..

هادرة كنهر جارف في موسم فيضان تندفع من باب المدرسة حقائق مدرسية زرقاء رُسم عليها شعار اليونيسيف بالأبيض.. موعد انصراف الدوام الثاني..

بعضهم في لباس مدرسي وبعضهم فيما تيسر، يترأحون من ارتفاع اليد لحدّ الخصر وأعلى قليلاً. أفرح بالنظر إلى ضفائره التي جدلتها أمهاتهن بكل ما أتيج لأصابهن من فنّ.

سميكة ورفيعة، شعيرات خفيفة رُبطت بمطاطة ملونة، بكلة ترحل عن الفرقة، ذيل حصان يتأرجح مع كل قفزة، إشارب أبيض يخفي الرأس

الصغير ويغطي العينين فتشدّه إلى الخلف ليكشف عن غرة شقراء، تستدرك فتعدي سحب ليغطي حاجبيها

وتسير.. ينحني ظهرها الطري تحت الحقيقية المحملة بكل واجبات الدنيا.

خمسة صبيان أشركوا بنتاً وحيدة في لعبتهم الصبائية التي تشبه التكتيك العسكري، يتشاورون قرب سيارة متوقفة، يضعون خطة حربية ربما.

في طفولتي كنا نسمي خطوط الطبشور المرسومة على الأرض "مملكة"، جمعها "ممالك".. ما تزال

تأخذني هذه الكلمة كلما رأيت الخطوط البيض على الإسفلت بعيداً إلى قاع البحيرة حيث ترقد البيوت المغمورة

مع بقايا أنفاق تقود من قلعة جعبر إلى برج المراقبة على الضفة الأخرى.. لم يتسنى لأحد اكتشافها..

## فقط لأنك شجرة

❖ وسام الخطيب

الوسادة التي جمعت دموعي

تحولت إلى بحر

لا أفهم قسوة هذا العالم

على رأس غريق

أغصانك التي غلّقت قلبي

أعمته عن الرؤى المكسورة

أوراقك الباهتة التي لبستها

كانت اللون العصري لأيامي

فاكتهتك التي لم أكل سواها

عانتني في رجم انتظاري الطويل

الجذع الذي يسمى ظلي

توالد عكساً مع النور وأصبح غابة!

جذورك التي وُثمت في روعي

أخذت تشعب وطني المجذور

لن أفتلك أيها الحزن

لن أفتلك

فقط لأنك شجرة.

• كاتبة فلسطينية

## رصاصية الرحمة | العلمانيون "العرب"



✦ نجيب نصير

ولأن التعميم قتال كما يقول الشاعر فايز خضور، ولأن كل من فيه "مسلة بتخزوا"، فإني أشير في هذا المقام، إلى هؤلاء الذين لم يطلوا، غيب الشام ولا بلح اليمن، وهم الكثرة الكاثرة من العلمانيون المتوفرون والمتداولون في أصقاع المعرفة العربية المترامية وهي أوسع من بخش إبرة بكثير.

ولأن العلمانية هي تكنولوجيا المساواة، ولأن الأديان لا تحمل ولا تحتمل في مدخلاتها ولا في مخرجاتها المساواة بين البشر، لا كقيمة ولا كمفهوم، ولأن الدولة كتكنولوجيا إدارة المجتمعات "حصراً" قائمة على المساواة كقيمة ومفهوم، كان لا بد من فصل الأديان عن الدولة بكياناتها الثلاثة التنفيذية والتشريعية والقضائية، فضلاً حقوقياً واضحاً صريحاً وعلانياً ومسؤولاً، وعلى هذا تبدو العلمانية فرصة، أكثر مما هي أيديولوجيا قابلة للاعتناق المشروط أو المطلق، وأكثر بكثير مما هي كافتراح تجريبي يصيب أو يخيب ساحلاً في طريقه كرامات البشر وخبزها ودمانها، فالدولة الحديثة، هي دولة علمانية بالضرورة، من باب التأسيس على المساواة الإنسانية، وكل نموذج يدعي أنه دولة مغفلاً شرط المساواة الصريحة والعلانية، هو نموذج قيد الانفجار عاجلاً أم آجلاً، دون التدقيق في الأسباب إن كانت خارجية أم داخلية، عضوية أم عرضية، فمحاولات تكيف المساواة التي تقوم بها هكذا نماذج، يحولها إلى عدالة لا أحد يعرف معاييرها بالضبط، ولا حتى ماهيتها، لتتحول الدولة من دولة المساواة إلى دولة العدالة، وهناك فرق تأسيسي شاسع بين الدولتين، عند هذه النقطة البدنية يتوقف العلمانيون "العرب"

ويحولوا أنفسهم إلى علمانيون، تهرباً من استحقاقات العلمانية التي أنجحت قيام الدولة الحديثة وإنجازاتها، فهم وعبر إداء جعل العلمانية مناسبة لخصوصياتنا الفريدة، يعثون في الجوهر التأسيسي للعلمانية كأحسن تكنولوجيا وصلت إليها البشرية حتى الآن، فيلجأون إلى تكيفها من منظور تراثوي كي تتاسبنا، ولا يعولون بتاتاً على تغيير أو تكيف التجمعات البشرية لتبنيها كتكنولوجيا قادرة على خدمة هذه الشعوب أو التجمعات البشرية التي لن تتحول إلى مجتمعات " بالمعنى الحديث" تفرز دولة بالعلمانية الحديث أيضاً، من دون المساواة البشرية التي لا يمكن لأية عدالة أن تقوم من دونها. لقد حولت ظروف العلمانيون "العرب" ( إداءات، أو سرديات أو خطاب)، العلمانية، إلى ملطشة عبر قولبتها في عبوات قابلة للتصالح مع الأديان، وهي غاية تتضمنها العلمانية نفسها، وذلك خضوعاً للأكثرية المتدنية أو المؤمنة عبر ممارسة التديليس عليها، وكان هناك مشكلة بينها "العلمانية" وبين الأديان! وعلى النخب من أهل الصلاح التوفيق بينهما بالحلال، وصار الشاطر من هؤلاء النخب يقترح تعديلات على العلمانية، انطلاقاً من منجزاتها الناجحة كالديمقراطية، والحرية الفردية، وحرية المعتقد، وحقوق الأقليات بممارسة فلكلورها إلخ، معتبرين أن هذه المنجزات ما هي إلا تطبيقات نظرية، يمكن أن تقرأ بأية طريقة حتى لو كانت هذه الطريقة تقضي نظرياً على العلمانية ذاتها. لدرجة أن الشعارات الدينية التي تعلن نفسها كتمايز وامتياز حقوقي عن سائر المجتمع، تعتمد تماماً على أطروحة الحرية الفردية التي مكنتها العلمانية من الوجود والتفاعل، ومع توافق العلمانيون "العرب" مع هذا الطرح أضحت العلمانية تحمل بذور لا علمانيته كشرط لقبولهم بها، وهذا مثال تبسيطي إلى حد كبير، فكيف إذا تأملنا أحوال دساتير "الدولة" العلمانية في دنيا العرب؟ من المؤكد أننا سوف نحصل على مذبح للمساواة، تحت عنوان العلمانية في العقد الاجتماعي الحديث. حيث افترض هؤلاء العلمانيون أن هناك معركة بين الدين والعلمانية وما ينتج عنها من دولة، ولكن ويا لخبية هؤلاء لا يوجد في العلمانية ما يدل على معركة ما، ففصل الدين عن الدولة هو إجراء تأسيسي للدولة الحديثة المشتبهة من قبل الجميع، واختراع معركة واهية وادعاء محاولة أطفائها بالتوفيق، يعني تماماً مقاومة العلمانية التي يتبنونها كتكنولوجيا، لا بل حشد الأعداء ضدها. والمضحك أن هذه المعركة التنظيرية الواهية والمختلفة لم تستطع جذب ولو القليل من الاحترام من جموع المؤمنين أو العامة لهؤلاء العلمانيون الأشاوس. واقعياً نظرياً وعملياً، نحن ضحايا معركة جزافية واهية الأسباب، بين العلمانية والأديان والسبب المعن لها هو انعدام المساواة! ولكن وواقعياً نظرياً وعملياً تبدو المعركة بين العلمانيون ومستثمرو التدين، فالطرفين يحاولان تكيف معطياتهما التفكيرية لصالح ثقافة الغزو، كإطار جامع، ومعيان مانع للحلال والحرام، حيث يبدو نظرياً على الأقل أن لا ساحة معركة يمكنها أن تجمع العلمانية والأديان معاً، فكل مجاله وحيوته في إطار المجتمع الحديث، وهذا ما يظهر خلال المعارك الدموية الآن، إذ لا أديان مشاركة في الإيغال في هذا الدم، ولا علمانية أيضاً، بل هناك طوائفية وعلمانية في حالة غزو متبادل طلباً للحق وليس إحقاقاً للصواب.

لقد أفرغ (جُن) العلمانيون "العرب" العلمانية من محتواها المساواتي،

من خلال انتقادهم العملية وظهروا وكأنهم يريدون علمانية مشروطة بما لا تقدر على احتماله، أو الحفاظ على مكوناته، خصوصاً في موضوعتي الديمقراطية والليبرالية ( وخصوصاً أيضاً في محاسبة الغرب على ديموقراطيته وليبراليته)، إذ لا يفرق هؤلاء (الجُن) في الأكثرية الانتخابية (مثلاً) بين أكثرية طائفية وأكثرية سياسية، محولين أي منتج لعملية "ديمقراطية" إلى منتج منزوع الدسم (المساواة) مسبقاً، أي الذهاب بالأداء "الديمقراطي" إلى مرحلة ما قبل المجتمع كشرط لممارسته كتطبيق علماني نجح في جل أصقاع الأرض، عازفين على نغمة الخصوصية والهوياتية الملغمة بالتمايز (الأفضليات) الحقوقي بين أعضاء "المجتمع".

فصل الدين عن الدولة كتكنولوجيا، لا يشكل ساحة معركة بعد كل هذا التطور الذي صنعه البشرية، فالأمر بات واضحاً، ولا يختلف أحد على تكنولوجيا السيارات والطرارة والصاروخ والبراد والغسالة والكومبيوتر والطبابة، بل يستعملها الجميع بحياد تام من أجل المنفعة، فلماذا العلمانية وحدها تقابل هذا العنت؟!

إنهم العلمانيون "العرب" الذين يريدون الشيء وعكسه معاً، إنهم يريدون علمانية غير مفصولة عن الأديان فقط، تاركين التفاصيل للشعوذات الفكرية والتنظيرية عليها تنشئ كياناً عادلياً يتناسب مع علمانية افتراضية يمكنها تجاهل الاحتكار الأشوه للعنف، وأسألوا في ذلك كل خبراء العلمانية من محمد عابد الجابري وحتى طه عبد الرحمن، وما بينهما من حسن حنفي رجوعاً إلى محمد عبده.

• كاتب وسيناريست سوري

## دعوة قلم رصاص:

إلى جميع الأدباء والكتاب والصحفيين الشباب العرب تدعوكم أسرة تحرير مجلة وموقع قلم رصاص للكتابة في المجلة والموقع وإرسال نصوصكم الإبداعية وموادكم الصحفية والنقدية لنشرها في هذا المنبر الحر. الذي نسعى من خلاله أن نكون نقطة التقاء للمبدعين والهواة على حد سواء غايتنا الثقافة والإنسان. وبإمكانكم مراسلاتنا وإرسال المواد عبر بريد المراسلات.